

إيزابيل الليندي تكرم نيرودا بـ«بتلة البحر الطويلة»

عاشت إيزابيل الليندي (77 عاماً) حياة صاخبة، ساهمت في دعمها أدبيا بمواضيع مختلفة. وأخيراً أصدرت الكاتبة المقيمة في الولايات المتحدة منذ أواخر الثمانينات والتي تنتقل منذ فترة طويلة بين تشيلي، مسقط رأسها وبين كاليفورنيا، كتاباً جديداً. كانت لنا معها هذه المقابلة حوله في برلين.

برلين - على امتداد مسيرة أدبية حافلة، تجاوزت النصف قرن، نشرت الكاتبة التشيلية إيزابيل الليندي العديد من المؤلفات المؤثرة على غرار رواياتها "بيت الأرواح"، "ياولا" و"صور عتيقة"، وأحدث أعمالها مؤخراً جاء بعنوان "بتلة البحر الطويلة"، وترجمت إلى الإنكليزية بعنوان "هذه الرحلة الطويلة". وكعادتها تتناول الرواية الموضوعات المفضلة للادبية التشيلية مثل الهروب، والمنفى، والحزن إلى الوطن. وتبدأ الأحداث مع الحرب الأهلية الإسبانية (1936-1939) التي أجبرت الكثير من المواطنين على النزوح. يعتبر "وينيبج" المركب الذي استخدمه شاعر تشيلي العظيم، بابلو نيرودا في تهريب الآلاف من اللاجئين الإسبان إلى تشيلي عام 1939، البطل الحقيقي للرواية.

حول سبب قرارها الكتابة عن مركب بابلو نيرودا تقول الليندي "عرفت بقصة 'وينيبج' قبل أكثر من أربعين عاماً، عندما أخرجني عنه أحد ركابه، يدعى فيكتور باي. عرفت بالقصة، ولكن أتصور أنني لم أشعر بحاجة لدي لكتابتها حتى الآن لأن موضوع اللاجئين والمهاجرين، كان حاضراً دائماً في الأجواء وفي كل مكان. ولهذا فإن رواياتي الثلاث الأخيرة تتناول موضوعات تتعلق بالنازحين، البشر الذين تم اقتلاعهم من جذورهم". وإن كان هذا الموضوع حاضراً في دائرة اهتماماتها باستمرار، تقول الليندي "حسناً، لقد كانت تجربة شخصية، جعلتني أتعاطف كثيراً مع الناس الذين يمرون بهذه الظروف: المنفيون، اللاجئين، والناس الذين يبحثون عن ملاذ، والمهاجرون بالطبع. علاوة على أنه لدي في الولايات المتحدة، مؤسسة تعمل مع النساء والأطفال في العديد من المناطق في العالم، إلا أننا نركز في الوقت الحالي على منطقة الحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك، حيث توجد العديد والعديد من المشاكل الإنسانية بحق الناس الذين يبحثون عن ملاذ آمن".

في روايتها الجديدة تحكي إيزابيل الليندي عن مركب الـ«وينيبج» الذي استخدمه نيرودا في تهريب الآلاف من اللاجئين الإسبان

وعقب انقلاب بينوشيه على الرئيس المنتخب للاستيلاء على موارد تشيلي من النحاس، نُفيت عائلة الليندي إلى فنزويلا، وهي الأحداث التي سجلتها إيزابيل في روايتها "بيت الأرواح". كتبت إيزابيل 23 عملاً أدبياً، منها رواية تصور معاناتها بسبب فقد ابنتها نتيجة خطأ طبي في أحد المستشفيات. ترجمت أعمالها إلى 42 لغة، ومن بينها العربية، ويعتبر المترجم السوري الشهير، صالح علماني أكثر مترجم لأعمالها. جدير بالذكر أن روايتها التي حققت لها الشهرة الكبيرة في بداية مشوارها "بيت الأرواح" قدمت للسينما في عمل بنفس الاسم لعب بطولة أسماء كبيرة مثل ميريل ستريب، وجيرمي آيرون، وبيونا رايدر وأنطونيو بانديراس.



كاتبة في صف المعجزين

عبدالرزاق عبدالواحد في ساحة التحرير

شاعر أمن بجوهر القصيدة بعيداً عن خلافت المدارس الشعرية



الإبداع وسيلة احتجاج

يفتح الباب واسعاً أمام تلك العناوين التي اصطلح على وصفها بالمدارس الشعرية، بل لأنه لم يلتفت في ما كتب من شعر إلى مدارس الشعر واتجاهاته، إلا في حدود ما يجعل قصيدته أقرب إلى جوهر الشعر.

قصيدة عبدالواحد ظلت تتشكل من خلال ما يدركه من جوهر الشعر وليس استجابة لنزعة كاتب أو رؤية ناقد

وقلت له يوماً: أنت تعيدني إلى مقولة فان غوخ "لقد أصبحت ملوناً مستبد"، وإذ ينصرف استبداداً فان غوخ إلى تعامله مع اللون، فإنه تستبد باللون من دون تكلف أو نيش في المعاجم، وإذ يعود إلى البدايات وأنت الذي شهد أول التحولات في القصيد العربي ولم تنأ بقصيدتك عنها، لم تكن على معطيات هذه التحولات وما اقترن بها من تنظير، ولم تكتب قصيدتك لرضاء هذا الناقد أو ذلك، كما لم تحفل بالذين يقولون كل شيء إلى حالة التحجر، كما يقول المفكر والروائي الأرجنتيني إرنستو ساباتو، بل لم تحفل بما قيل أو كتب عن شعرك، وظلت قصيدتك تتشكل من خلال ما تدرك من جوهر الشعر وليس استجابة لنزعة كاتب أو وجهة نظر ناقد.

في أوائل سبعينات القرن الماضي، وفي صباح شتائي بغداد، كنا قد التقينا في بيت الراحل يوسف الصائغ في حي المنصور ببغداد، عبدالرزاق عبدالواحد وإسماعيل فتاح الترك وأنا، وقتذاك كان الصائغ قد نشر قصيدة "رياح ينسي مازن" وكتب عبدالرزاق قصيدة "الصوت" وكتبت قصيدة "عيار من بغداد" ودار حديث عن القصيدة الجديدة أو لأقل عدنا إلى الحديث عنها، فهذا الموضوع لم ينقطع عن الحديث فيه، يومذاك قال عبدالرزاق: هذا أمر لا يشغلني، منذ أن بدأ الحوار بشأنه في أواخر الأربعينات، والمهم عندي أن أحقق الانسجام بين ما أكتب وما أريد أن أكتب، ويبدو لي أنه ظل حريصاً على مقولته تلك.

وأخيراً أقول: أخي أبا خالد، إذا كان رحيلك قد حال بينك وبين أن تكتب قصائدك لانتفاضة أكتوبر العراقية المجيدة، فانت حاضر في ما يردد المنتفضون من شعرك، وإن مجموعة من الشعراء الشباب الذين أحبوكم وأحببتهم، كبروا وصاروا ملء السمع والبصر، وهم يكتبون قصائدكم الجميلة، فأحس بحضورك من خلال ما يكتبون.

الحسابات كانت في أوساط المثقفين أكثر مما كانت في أوساط أخرى. وباتجاه واحد، ضرب إعصار الاحتلال وعواصف الكذب والدجل، وتحولت كلمة السوء إلى دليل فاجر يشير إلى دمناء، بعد أن اغتصبت بيوتنا ومكتباتنا ورسائلنا، وكان ابن أم صاحب أحد شعراء حماسة أبي تمام،

يصف الأدلاء على دمناء في قوله: إن ياذنوا ربية طاروا لها فرحاً مني، وما سمعوا من صالح دفنوا صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بشر عندهم أدنوا جهلاً علينا، وجبتنا من عودهم لبست الخلتان، الجهل والجبن يومها كتبت إليه: لا عليك أخي أبا خالد، لأن الأدلاء على دمناء، وهم الأدلاء على وطننا، فشلوا في أن يكونوا أدلاء على قصادنا ومواقفنا وضحكاتنا، والباقي من أحلامنا، وعلاقتنا بالناس وعلاقة الناس بنا، وما أنت رغم كل ما لقيت من عنت، بقيت وستبقى شامخاً، شاعراً ورجلاً، وإذ أحبيك، استذكر تجربتك الشعرية على امتداد ستة عقود من الزمن، وقد وصلت هذه التجربة مدى، يجعلها أبعد من أن تتوسل بشهود من أي قبيل.

تحدثت جان موريا عن الشاعر الفرنسي بول فيرلين فقال "لنترك ذكر مدارس الشعر، فهنا اليوم، لا يوجد إلا شيء واحد هو الشعر". فلتكن مقولة موريا أنفة الذكر مدخلاً للحديث عن الشاعر عبدالرزاق عبدالواحد، ليس لأنه أدرك الشعر في نقلاته بين العناوين الشعرية التي تكتب فيها قصائده، حيث كان الشعر

وأكبت الحراك الشعبي الاحتجاجي في العراق منذ بدايته في أكتوبر حركة فنية وإبداعية هامة، بدأت بالرسومات التي ملأت الجدران في احتجاج فني، والتماح من قبل المبدعين العراقيين مع صوت الشارع المطالب بالتغيير الجذري. وهذا التلاحم لم يجسده فقط الفنانون بل وحتى الأدباء وخاصة منهم الشعراء، الأحياء منهم والراطلون الحاضرون بقصائدهم على غرار عبدالرزاق عبدالواحد.

أيامذاك، المحرض المعرب بوعي المواجهة، في مجتمع مهيباً للذهاب بعيداً على هذا الطريق. أما أنا الطالب الآتي من بيئة محافظة، وحافظة شعرية مكيبة بارت السائد الشفهي ومؤثراته الاجتماعية والدينية، فقد سُحرت بالمدرسة الشاب، حين ابتدأ درس الأدب، بعيداً عن المنهج المقرر، فتحدث عن المهجريين وشعرهم، وتوسع في الحديث عن ميخائيل نعيمة، ثم اختار لنا قصيدة من شعره، كانت:

أخي من نحن لا أهل ولا وطن ولا جار
فكانت من الأسئلة الأولى، التي رافقت إحساسي الأول بالشعر، تلك الأسئلة التي ستمهد لمحاولاتي البكر في كتابة الشعر، وحين كان الافتراق بين المدرس الشاعر والطالب المسكون بهاجس الشعر، استمر التواصل بين الشاعر الذي ترسخ حضوره والفتن المهيا لدلول مملكة الشعر، عبر القراءة حينا، والاستماع إلى من يردد قصائد الشاعر، وهم كثر، حيناً آخر.

ثم كانت مرحلة أواخر الستينات وكانت بغداد حينذاك تتوهج بالأمل على كل صعيد، ولأن الشعراء لا يكبرون، فقد أحسست بأننا بدأنا معاً، وهذا ما كان، فكانت علاقة ظلت تتواصل وتتجدد وتزداد عمقا إنسانياً وثقافياً،

وحيث تعرض وطننا للخطر، بدأت حسابات الريح والخسارة، ويجرحني أن أقول: إن هذه

حميد سعيد
كاتب عراقي

ليس من مبالغة حين تقول إن ساحة التحرير وهي في القلب من بغداد ومركزها الحيوي، شهدت منذ بدء انتفاضة أكتوبر، عراقاً محبباً، بكل ما فيه من تعدد ومفارقات، وما عرف عن العراقيين من نكاه وحيوية ونشاط إبداعي، ففي الوقت الذي يواجه فيه المنتفضون الرصاص بصدورهم العارية، نجد بينهم الرسام والشاعر والزجال والمثند والموسيقي والممثل، وكل منهم يحاول أن يردد الانتفاضة بما يبدع، ويكون هذا الإبداع بعض نشاطها وبعض تاريخها في آن واحد.

وما لفت نظري، هو أن كثيرين من المنتفضين في بغداد ومدن عراقية أخرى، يرددون شعر الصديق الراحل عبدالرزاق عبدالواحد، حتى كأنه حاضر بينهم، وتمتد لي لو كان حاضراً، ولو كانت هذه الانتفاضة قبل رحيله، لكتب في كل يوم قصيدة، كما كان يفعل في كل مواجهة وطنية، ويتأثر هذا الهاجس، عدت إلى بعض أوراقي لأستحضره شاعراً وصديقاً وموقفاً، وأهدي ما أكتبه عنه إلى المنتفضين الذين طالما أحبهم، وفيهم كثيرون ممن أحبوه.

تجربة الستة عقود

لقد أتيج لي أن أعرف عبدالرزاق عبدالواحد منذ بداياته الشعرية، واقتربت هذه المعرفة الشعرية، بمعرفة شخصية، بدأت في أوساط خمسينيات القرن الماضي، حيث عمل مدرساً للغة العربية في المدرسة المتوسطة بمدينة الحلة، وكنت أيامذاك طالباً في الصف الأول المتوسط، وشاعت المصادفة أن أكون واحداً من طلابه،

لنصف عام دراسي، ولم يكن عبدالرزاق عبدالواحد مجرد مدرس ناجح يلقي الدروس على طلابه ويلقنهم ما ينبغي أن يلقنوا من مفردات المنهج المقرر، بل كان وظل يشكل حالة من حضور مؤثر، إذ كان الشاعر في مدينة، لطالما اقترب فيها الشعر بالسحر، وكان

